

الدكتور محمد العيد رتيمة  
أستاذ فقه اللغة العربية  
معلم اللغة والأدب العربي  
جامعة الجزائر

## دراسة أنماط التراكيب في اللسان العربي المبين

تعرف اللغة في مفهومها الشامل أساسا بأنها مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وذلك من حيث أساسها العالمي الأبعد لأن البحث عن أصل اللغة مرتبط أساسا بأصل الإنسان من جهة وبنشوء الفكر من جهة ثانية لأنها هي الفكر نفسه فاعلا ومنفعلا فهي فكر بالفعل والفكر لغة بالقوة كامنة. والفكر كل متكامل لا يتجزأ إلا لأغراض دراسية تخصيصية في إطار من التكامل وعدم الفصل إلا لدقة البحث فحسب، لذا فاللغة - بمفهومها الشامل - في نظرنا - تمظهر للفكر في ظاهر باد للعيان سمعا ومشاهدة.

- سمعا لأنها أصوات أساسا حيث كانت منطوقة قبل أن تكون مكتوبة  
بآلاف السنين

- مشاهدة لأن الكتابة تعبير عن مرحلة متأخرة زمنيا متقدمة عقليا استطاع فيها الإنسان - ولأغراض - السيطرة على أصواته اللغوية ليجسدها في رموز متجردة لا تدل عند انفرادها، إلا على أنفسها تمايزا لها عن غيرها من

التي تشاكلها من حيث المخارج أو الصفات، ثم أن هذه الأصوات التي ترجمت وجسدت في رموز تنتظم في مجموعات من الأصوات المتناسقة وفق طرائق مقننة في قوالب من الصيغ الوزنية تشكل أنماطا إذا تمثلت في لغة ما يتولد عنها ما لا يحصى من المفردات وفق ما تتطلبه الحاجيات وتضطر إليه الحاجات المتجددة باستمرار بتجدد الحياة والبيئة والخواطر فيصبح بعد ذلك ما صيغ منها عليها بها دون حكم تفضيلي تمييزي إلا من حيث الدراسة التاريخية.

والمفردة اللغوية هي النواة المعنوية الأولى وتظهر دلالاتها في مستويات منها.

1- الدلالة المعجمية التي تحدد المعنى الذي تنفرد به دون سائر المفردات تميزا لها عما عداها غير أنها لا يمكن أن تضبط بشكل آخرها.

2- الدلالة الوظيفية: وهي الدلالة الدقيقة التي تأخذها المفردة ضمن سياق معين في تركيب معين تتضافر مجموعة من القرائن اللغوية والمعنوية على توضيحه بدقة، فقد تخرج المفردة عن دلالتها الحقيقية لتدل على معاني مجازية عديدة ذلك لأن لأية مفردة (كلمة) من الكلمات وظيفتان اثنتان.

أ- وظيفة تعريفية: وهي الدلالة - بالوضع - على معنى مفرد.

ب- وظيفة تعبيرية: وذلك لأن عدد المفردات أقل بكثير من عدد المعاني المرتبط بالأفكار والمشاعر والأحاسيس التي لا يمكن أن تحصى ولذلك حملت المفردات بشحنات كبيرة جدا من المعاني التعبيرية لكي تقترب من التعبير عن القسط الأكبر من المعاني.

غير أن المفردات اللغوية - على اعتبارها النواة المعنوية ومحور الدراسة الصرفية - وإن كانت عنصرا مهما في اللغة فهي عرضة للهرم فالموت من جهة،

ثم إن تعلم كل المفردات في اللغة وحفظها غرض لا ينال. وعلى افتراض نيته فهل الأفراد في المجتمع أو المجتمعات في الأمة في نطاق لساني (لغوي) واحد يتعاملون فيما بينهم إلهاماً وتفهماً وإبلاغاً وإخباراً بل حتى مناجاة بالمفردات منفصل بعضهما عن بعض؟ طبعاً لا وألف لا.

إذن فاللغة أية لغة إنسانية لا تؤدي وظيفتها كاملة إلا بوساطة التراكيب الإسنادية المفيدة حصراً لأن التركيب عموماً يعرف بأنه اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية ذات تأثير لفظي وينقسم التركيب إلى نوعين أساسيين ينضوي تحت كل منهما أنواع فرعية.

1- تركيب إسنادي وهو تركيب كلمات مؤتلفة إسنادياً يتكون من مسند ومسند إليه ويشمل على فائدة تامة يحسن السكوت عليها، ويتضمن هذا النوع من التركيب صنفين:

أ- المركب الاسمي الإسنادي، وهو تركيب الاسم مع الاسم لعلاقة إسنادية أي ركني الإسناد فيه اسمان أو ما هو بمنزلةهما.

ب- المركب الفعلي الإسنادي، وهو تركيب الفعل مع الاسم أو ما كان المسند فيه فعلاً شريطة تقدمه على المسند إليه.

2- تركيب غير إسنادي - وهو تركيب كلمات غير إسنادي، لا يشتمل على فائدة تامة يحسن السكوت عليها، وينقسم هذا النوع من التركيب إلى نوعين يتفرع ثانيهما إلى ثلاثة أقسام.

أ- التركيب الإضافي وهو ما ركب من مضاف ومضاف إليه

ب- التركيب البياني وهو ثلاثة أقسام:

1- تركيب وصفي وهو ما يتألف من موصوف وصفة

2- تركيب توكيدي وهو ما يتألف من مؤكّد ومؤكّد

3 تركيب مزجي وهو ما يتألف من كلمتين آخر الأولى يبقى على حاله قبل التركيب. بعد ضم إحداهما إلى الأخرى وجعلهما بمنزلة اسم واحد إن التمييز بين نوعي التركيب الأساسيين المذكورين أعلاه، يحدد بدقة نوعية العلاقة بين الكلمات في التركيب عموماً، هذه العلاقة التي تقسم إلى قسمين بحسب النوعين الرئيسيين لهما:

1- علاقة عامل ومعمول وتبحث هذه العلاقة في نظرية العوامل.

2- علاقة تابع ومتبوع وتبحث هذه العلاقة في نظرية التتابع.

ويجدر التذكير هنا، بأن هذا الإطار من التنميط القواعدي ماهو إلا تكملة ومحصلة لدراسة ما استقرت عليه الأنظمة اللغوية لأن اللغة نظام يتألف من أنظمة صغرى مستقلة ذاتياً على الرغم من أنها متفاعلة فيما بينها، يؤدي التفاعل بينها إلى تحديد جهاز اللغة. أي أن اللغة نظام كبير يشتمل على أنظمة: صوتي و صرفي ونحوي قواعدي، والفصل بين أنظمة اللغة فصل غير طبيعي إلا بقصد تسهيل عمليات التحليل والدراسة فقط، لأن النظام الصوتي أساس للنظام الصرفي، والنظام الصرفي أساس للنظام النحوي، وقد أدرك أسلافنا هذه الارتباطات والروابط بين الأنظمة اللغوية الصغرى فدرسوها ضمن النظام الشامل والأشمل للغة دون فصل بين بعضها بعضاً بحيث لم تظهر عندهم الدراسات المتخصصة إلا بعد مرحلة الدراسة التحليلية الوصفية الشاملة التي تلت مرحلة التلقي والجمع والتدوين، وعليه فإن عصر الانحطاط العربي في الدراسات اللسانية ظهرت بوادره في المرحلة الثانية - حسب رأي أستاذنا دك الباب، حيث تتجلى في فصل علوم البلاغة عن صرف العربية ونحوها، فأدى هذا الفصل إلى إعاقه قيام اللغة العربية الفصحى بوظيفة الاتصال في تجميع مجالات الحياة وقد أشار الإمام الجرجاني إلى ذلك غير أن

صرخته لم تجد في عصره ومن جاء بعده أذنا صاغية إلى زمن غير بعيد وعند قلة من الباحثين.

إن ذلك الفصل المضلل والأبتر المشوه لحقيقة اللغة العربية الفصحى انعكس سلبا في فهم العرب لخصائص اللغة العربية وبنيتها مما أدى إلى الشكوى من الطرائق القديمة في دراسة العربية لأن أخطر ما في تعليمنا اللغة هو المناهج وطرائق التدريس والكتب الدراسية ~ إذ أن التفكير العلمي حبيس المختبرات وروح البحث غير مشجعة... ويسودها الاعتماد على الغير وحفظ المتون والوقوف عند حد المقرء<sup>(6)</sup> وقد كرسنا هذا الأسلوب الممجوج في التلاميذ والطلاب بنظم امتحاناتنا التي تعتمد في الأعم الأغلب على الرد-دون تمثل لما حفظ كما يقول الدكتور طه حسين: ~ عودناهم الاكتفاء باستظهار ما أملي عليهم لأداء امتحان به، وإذا انطوت سنوات الدراسة انطوت معها ما أستظهرت<sup>(7)</sup> ويقول الدكتور عيد ~ فما أقل ما نبذل من الجهد لنجعل اللغة العربية لغة التعليم، فاللغة العربية لا تدرس، وإنما يدرس شيء غريب لاصلة بينه وبين الحياة، لاصلة بينه وبين المتعلم وشعوره وعاطفته إذ أن ما يجري عليه إعداد المعلم فعلى أساس توجيهه العناية الأولى لأداب اللغة وليس اللغة نفسها... فالمناهج تركز على الشعر والنثر على مالها من أهمية- في اكتساب الملكة- إلا أن المتخرج على هذه الصورة يحفظ قصاصات من تاريخ اللغة وأدائها، ولكنه لا يحسن استخدامها لعدم تحكمه في القوانين العامة للغة وأساليبها وسمة كلامها، وما ذلك إلا للعزلة بين المواد اللغوية والأدبية في المناهج، وهذه العزلة تتمثل حتى بين علوم اللغة نفسها~ إذ أن اللغويين فصلوا بين النحو والمعاني ووضعوا بينهما الحدود والأسوار... فأنت مثلا تتعلم في النحو حكم الصنعة في نائب الفاعل، أما لماذا تصرف العربية النظر عن الفاعل وتأتي لما ينوب عنه فذلك ما لا شأن للنحوي به، وإنما مكانه في علم آخر هو علم المعاني، ولهذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعنى هو الذي جار

على جدوى التعليم في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقتها<sup>(10)</sup> إذن فالمشكلة المعاصرة للغة العربية تتمثل في رأينا في ناحيتين:

1- الازدواجية اللغوية في مفهومها الشامل بقسميه:

أ- الازدواجية أو (البلانقيزه) فعلى الرغم من درجة الاستيعاب العالية - لدى الأطفال التي يقرها علم النفس حيث تفوق طاقة الكبار لعدم الحضور المناوي للغة الأخرى إلا أن نظامنا التربوي يقر اقحام لغة ثانية في مرحلة مبكرة قبل أن يمتلك التلاميذ القوانين العامة والأنماط غير المعلن عنها تقعيدا في ذهن الطفل مما يخلق عنده عدم التركيز ويشتت ذهنه ويضعف طاقة استيعابه.

ب- الازدواجية اللغوية التي تكمن حاليا بين اللغة العربية الفصحى ولهجاتها العامية المختلفة في المجتمع العربي المعاصر، وإن كانت لهذه الناحية من المشكلة اللغوية ليست وقفا على العربية بل أنها أمر لا يختص به العرب وحدهم، حيث يصادفنا مثله عند كثير من الأمم والشعوب، غير أنها تأخذ عندنا أبعادا أخرى منذ أن صارت علوم اللغة العربية تدرس منفصلة بعضها عن بعض وتعتمد على التعريفات والحدود أكثر من اعتمادها على المادة اللغوية العربية نفسها كما أنها بعيدة عن المحيط ولا تكاد تسمع إلا أثناء دروس اللغة العربية.

2- الطرائق التعليمية التي أدت إلى صعوبة كبيرة في دراسة اللغة العربية وتدريسها في كل مستوياتها خاصة المستوى النحوي الذي سقط في درك الانحطاط منذ أن فصل عن دراسة المعاني مما أدى إلى عزل اللغة الفصحى عن المجتمع فتخلفت عن سد حاجاته باستمرار فإذا كان من أهم أهداف تدريس العربية تقويم اللغة وتقوية الملكة، والتعويد على اتباع القواعد النحوية الصحيحة والتدريب على طرائق التعبير الفصيحة لسلامة

التعبير عن الأفكار فإنه لابد أن يراعي في منهجها ومفردات برامجها الربط المتدرج المنطقي المحكم الذي يراعي النمو النفسي وطاقه الاستيعاب لدى التلاميذ والطلاب وفقا لنموهم ومستوياتهم وبناء لملاح شخصياتهم العلمية المنتظرة المأمولة، وذلك من خلال نسق جوابي محكم يبتدىء بماذا وينتهي لماذا؟ مرورا بمن وكيف؟ أي ماذا نعلم؟ ومن نعلم؟ وكيف نعلم؟ ولماذا نعلم؟ آخذين بعين الاعتبار العناصر الثلاثة، اللغة، المتعلم، الطريقة من جهة وهادفين إلى دقة الوصف ربطا بالوظيفة تحقيقا للتمثل لا الحفظ والتلقين فحسب بل لاكتساب الملكة ولنا في تراثنا طرائق بحث علمية دقيقة ومعروفة بالبحث والتنقيب مستخلصة من طور الدراسة التحليلية الوصفية الشاملة التي تمزج في نسق شمولي كلي اللغة معتمدة بشكل واضح على الكلمة باعتبارها نواة معنوية كاملة رغم مرور وتطور مصطلحها من مفاهيم استعمالية متميزة ومتكاملة فيما بينها وإن بدت لأول وهلة بأنها متباينة إلا أنها لا تخرج عن ارتباطها بجانبين متلائمين في طبيعة الكلمة بنيويا ووظيفيا حيث أن الجانب الأول يتعلق بالكلمة كمفردة من حيث صيغتها البنيوية ودلالاتها المعجمية تتصف بالثبات النسبي إذا ما قورنت بالدلالات الوظيفية لها في الجانب الثاني الذي تمثل الكلمة فيه جزءا من أجزاء الجملة التي لا يمكن أن تتألف من جزء واحد وظيفيا وإن تبدت أحيانا في شكل لفظة واحدة متصلة صرفيا، إن هذا الجانب الأخير يبرز لنا مدى العلاقة الرابطة بين دراسة الكلمة ودراسة الجملة في العربية وهذا يعتبر سبق لعلم اللغة الحديث الذي ينطلق من اعتبار الجملة وحدة أساسية في اللغة لإقامة علم النحو على أساس دراسة بنيتها، حتى عدّ اتخاذ الجملة أساس كل دراسة نحوية وبداية كل وصف لغوي ونهايته من المبادئ الملتزمة في علم اللغة الحديث تماشيا مع أن إدراك الكل يسبق إدراك الأجزاء المكونة له، وهذه الرؤية قلبت هرم نسق التكوين للمستويات اللغوية من حيث تدرجها ولقد أسفرت لذلك دراسات علماء

العربية عن نمطية رباعية لأصناف الكلمة في العربية اعتمادا على الجانبين المذكورين سابقا (الكلمة كمفردة - وكلمة في تركيب الجملة) وهذه الأنماط هي:

1- الكلمة الجملة: وهي الناتجة عن اتصال الضمائر بالأفعال اتصالا إسناديا مما يتكون منه وعنه تركيب إسنادي يبدو في الظاهر كأنه كلمة واحدة لا كلمتين لاتصالهما صرفيا نحو (كتبت - نجحت).

2- الكلمة المتصلة بنيويا وغير المستقلة بالفهم وظيفيا، وهي الناتجة عن اتصال الضمائر بالأفعال اتصالا غير إسنادي مما يتكون منها وعنها تركيب غير إسنادي كاتصال ضمائر النصب بالأفعال نحو: (علمه. كتبه).

3- الكلمة المنفصلة بنيويا وغير المستقلة وظيفيا، وتمثلها الأفعال غير المسندة إلى ضمائر المتكلم والمخاطب وبعض ضمائر الغائب نحو: (كتب - نجح) فالفعل هنا في بداية سياق كلامي كلمة منفصلة بنيويا لكنها غير مستقلة بالفهم وظيفيا لطبيعة الفعل نفسه في العربية التي يجب أن تكون مسندة بالضرورة لأن الفعل لا يستقل بالفهم دون فاعله.

4- الكلمة المستقلة بالفهم وظيفيا والمنفصلة بنيويا، وذلك مقتصرة على الأسماء، لأن الاسم هو ما دل على معنى مستقل بالفهم ليس الزمن جزءا منه أي ما دل على معنى لذاته وبذاته.

هذه الأنماط الأربعة للكلمة تبني عليها أنماط من التراكيب متميزة تعرف بمسميات خاصة، يوجد بينها مفهوم عام يتمثل في التعريف اللغوي للتركيب نفسه، وهو أنه يجب أن تتألف من كلمتين فأكثر وللتأليف طرائق معينة تعود إلى العلاقة بين أجزائه (تأثير وتأثر - أو عامل ومعمول) وتتفرع علاقة المعمولية من حيث طبيعة البناء في المستوى النحوي وما يترتب عليه من وظيفة الإفادة في المستوى الإخباري، وقد تنبه علماء العربية الى هذه



الجوانب منذ القديم. وإن لم يشيروا، إلا إلى طبيعة الكلمة الأولى وبذلك قسموا هذه التراكيب إلى نوعين:

1- جملة الفعل والفاعل التي سميت في مرحلة الدراسات المتخصصة بالجملة الفعلية حيث المسند (م) فيها فعلا شريطة تقدمه على المسند إليه (م1) الذي يكون بالضرورة اسما أو ما ينوب منابه وظيفيا كضمائر الرفع، ويمتاز هذا النمط من التركيب الإسنادي بأن بنيته تتألف من كلمتين تكونان بنية نحوية لا انفصام فيها بين المسند والمسند إليه لأن الفاعل يعتبر جزءا من الفعل الذي يسبقه.

2- جملة المبتدئ والخبر التي سميت كذلك فيما بعد بالجملة الاسمية سواء أكان المسند فيها فعلا أم اسما شريطة تأخره عن المسند إليه وتتألف بنيتها من كلمتين منفصلتين.

ومن هذين الصنفين تنتج ثمانية أنماط أساسية من التراكيب الإسنادية يتميز كل منها بخصائص فارقة له عما عداه من الأنماط الأخرى وهي:

1- النمط الأول (م م 1) ويتكون هذا النمط من نمط الكلمة الجملة نحو (كتبت، تكتب)

2- النمط الثاني: (م م 1) ويتأتى عن إسناد إتصال ضمائر الرفع بالفعل نحو (كتبت، كتبتنا، كتبت).

3- النمط الثالث: (م + م 1) ويتأتى عن إسناد الأفعال إلى الأسماء الظاهرة نحو (كتب الطالب، نجح التلاميذ).

4- النمط الرابع: (م + م 1 م 2) ويتأتى عن إسناد الأفعال إلى ضمائر مستترة معلومة النوع لعودها نحو: (الطالب كتب - التلميذ نجح).

ملاحظة: وهنا يجب عدم الخلط بين جملتي (كتب الطالب) التي هي من النمط (3) وجملة (الطالب كتب) وإن كانا مؤلفين من الوحدات اللغوية

نفسها، لأن الأولى بسيطة والثانية مركبة من حيث البنية، وكذلك فهما مختلفتان من حيث المعنى.

5- النمط الخامس (م أ+م م أ 2) وينتج هذا النمط من التركيب الإسنادي لجملة المبتدأ الذي خبره جملة فعلية فعلها مسند إلى ضمير رفع بارز نحو: (الطلاب كتبوا)، (نحن كتبنا).

6- النمط السادس: (م أ 1 + م + م أ 2) وينتج هذا عن جمل المبتدأ الذي يكون خبره جملة فعلية مسند إلى اسم ظاهر نحو: (الأستاذ كتب طالبه بحثاً قيماً).

7- النمط السابع: (م أ + م) وينتج ذلك عن الجملة الاسمية المحضة البسيطة حيث يكون كل من المبتدأ والخبر اسماً ظاهراً أو ما هو منزل بمنزلة كأسماء الإشارة: نحو (محمد مؤمن، هو مؤمن، هذا مؤمن).

8- النمط الثامن: (م أ 1 + م أ 2 + م) ويكون ذلك في الجملة الاسمية الكبرى ذات الوجه حيث يكون الخبر فيها جملة نحو (محمد أبوه عالم).

هذه الأنماط العامة التي تعرفنا بالقوانين اللغوية العامة والكبرى لنظام تأليف وائتلاف ضمائر التركيب الإسنادي في العربية حيث رأينا أربعة أنماط للكلمة ونمطين أساسيين للتركيب المفيد يتأتى عنها ثمانية أنماط تركيبية للجملة المفيدة المتميزة بنيوياً ووظيفياً تغنينا عن الحفظ التلقيني الممل والمتشعب الذي يكدر ذهن الكبار بله الصغار بما فيه من آراء مختلفة حول المسألة النحوية الواحدة بما فيه من مباحكات وتأويلات متعددة مما ينتج عنه إحساس بصعوبة هذا العلم من علوم اللسان الذي تتخذ منه برامجنا ومناهج تدريسها ونظم محنها الإمكانية غاية في حد ذاته لا على أنه وسيلة لتقويم القلم واللسان.

وخدمة اللسان العربي المبين قصدت والله من وراء القصد.

نفسها، لأن الأولى بسيطة والثانية مركبة من حيث البنية، وكذلك فهما مختلفتان من حيث المعنى.

5- النمط الخامس (م أ+ م م أ 2) وينتج هذا النمط من التركيب الإسنادي لجملة المبتدأ الذي خبره جملة فعلية فعلها مسند إلى ضمير رفع بارز نحو: (الطلاب كتبوا)، (نحن كتبنا).

6- النمط السادس: (م أ+ م م أ 2) وينتج هذا عن جمل المبتدأ الذي يكون خبره جملة فعلية مسند إلى اسم ظاهر نحو: (الأستاذ كتب طالبه بحثاً قيماً).

7- النمط السابع: (م أ+ م) وينتج ذلك عن الجملة الاسمية المحضة البسيطة حيث يكون كل من المبتدأ والخبر اسماً ظاهراً أو ما هو منزل بمنزلة كأسماء الإشارة: نحو (محمد مؤمن، هو مؤمن، هذا مؤمن).

8- النمط الثامن: (م أ+ م م أ 2+ م) ويكون ذلك في الجملة الاسمية الكبرى ذات الوجه حيث يكون الخبر فيها جملة نحو (محمد أبوه عالم).

هذه الأنماط العامة التي تعرفنا بالقوانين اللغوية العامة والكبرى لنظام تأليف وائتلاف ضمائر التركيب الإسنادي في العربية حيث رأينا أربعة أنماط للكلمة ونمطين أساسيين للتركيب المفيد يتأتى عنها ثمانية أنماط تركيبية للجمل المفيدة المتميزة بنيوياً ووظيفياً تغنينا عن الحفظ التلقيني الممل والمتشعب الذي يكدر ذهن الكبار بله الصغار بما فيه من آراء مختلفة حول المسألة النحوية الواحدة بما فيه من مباحكات وتأويلات متعددة مما ينتج عنه إحساس بصعوبة هذا العلم من علوم اللسان الذي تتخذ منه برامجنا ومناهج تدريسها ونظم محنها الإمكانية غاية في حد ذاته لا على أنه وسيلة لتقويم القلم واللسان.

وخدمة اللسان العربي المبين قصدت والله من وراء القصد.

## مصادر ومراجع البحث

- 1- الخصائص لابن جني ج 1 ص 48 إلى 62 لبنان 1952
- 2- الكتاب سيبويه ج 1 ص 134
- 3- الشامل "معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها" محمد العيد اسبر وآخرون ص 433 بيروت 1981.
- 4- الكتاب سيبويه ج 1، ص 134
- 5- مدخل اللسانيات العامة والعربية الموقف الأولي رقم 125 ص 53
- 6- تعليم العربية بين الواقع والطموح محمد السيد دمشق 1984
- 7- في الأدب الجاهلي طه حسين ص 7
- 8- حلقة تعليم اللغات عبيد ص 54 دمشق 1974
- 9- حلقة تعليم اللغات عبيد ص 54 دمشق 1974
- 10- لغتنا والحياة بنت الشاطئ ص 197 القاهرة 1971.